

فلسطين ليست للبيع



26 أغسطس 2018 - 07:22

د.جمال عبد الناصر أبو نحل

فلسطين لا تباع ولا تشتري. فلسطين هي قضية القضايا، وسيدتها، والتي شغلت كل قادة، وجهابذة السياسة في العالم؛ وشعبها شعب الجبارين، شعب صامد، معطاء، كريم، عظيم، قدم التضحيات، كان، وسيبقى رأس الحربة، وفي مقدمة الصراع مع العدو المحتل الصهيوني، يدافع عن كرامة وشرف الأمة العربية والإسلامية؛ يوجد بالغالي، وبالنفيس من أجل حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين؛ وعلي الرغم من الحصار، والظلم، ومحاولات، والترقيع، والتجويج، والمساومة بالمال والرخاء، مقابل التفريط بالمقدسات، ورفع الحصار التي تعرض له؛ إلا أنه رغم ما أصابه من هم وغم، وحصار، وجوع، وألم، وضنك، وكبد العيش، لم، ولن يفرط بذرة من تراب فلسطين، وقالها بصراحة الرئيس أبو مازن حينما عرض عليه أن تكون أبو ديس عاصمة بديلة عن القدس، وإغداق الأموال مقابل ذلك؛ قال لا أحد يكره المال، ولا يحبه؛ ولكن إن كان الثمن هو التفريط بالقدس فلا وألف لا؛ وكذلك وحتى لا نجافي الحقيقة وبالرغم من ألمنا الشديد، والمرارة التي نشعر بها في غزة من الإجراءات الصعبة التي طالت غالبية أبناء حركة فتح قبل غيرهم، من خلال استمرار خصم الرواتب من قبل السلطة علي الموظفين، وعدم صرف مستحقات المالية للموظفين الذين تم إحالتهم للتقاعد المبكر، ونتمنى أن تزول تلك الإجراءات، وتنتهي، ولكن ليس علي حساب التفريط بذرة من تراب فلسطين، أو تحويل قضية فلسطين إلي قضية مساعدات مالية، أو إنسانية، وعزل غزة عن الضفة، والقدس، أو مقابل الحفاظ علي كرسي حكم حركة حماس الحاكمة لقطاع غزة؛ . وفي ظل ظهور الكثير من الأخبار حول التهذنة، أو ابرام هدنة مع الاحتلال وميناء ومطار خارج حدود الوطن فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً؛ ومن كان يُكْفَر ويُخون من جاء باتفاقية أوسلو ووقعها، وعلي الرغم من أنها سيئة السمعة والسيط، ولكنها جاءت بأفضل ألف مرة مما يشاع له الآن، ومما يعرض علي بعض الفصائل التي هزلت لذلك؛ كما أنهم قالوا قصائد هجاء، وتخوين، وسب، وشتم فيمن وقعوا عليها، وخاصةً الرئيس الفلسطيني محمود عباس؛! ولقول كلمة حق في الرئيس أبو مازن، وعلي الرغم مما أصابنا نحن من ضُر في غزة؛! نقول أنه لم يتجرأ أي زعيم عربي كائن من كان أن يفعل ما فعله ابو مازن، وأن يشتم الرئيس الأمريكي ترمب، ويقول له: "يخرّب بيتك"، وكذلك رفض مقابلة نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس؛! بل ومنع أي مسئول فلسطيني من مقابلته، ومنع أي تواصل مع الإدارة الأمريكية منذ عام، ما لم تغير الأخيرة موقفها المُنحاز تماماً لدولة الاحتلال الاسرائيلي الغاصب، وتراجع عن قرار نقل السفارة الأمريكية لمدينة القدس المحتلة؛ فهل من فعل هذا سيخاف من أي رئيس أو ملك، أو أمير عربي، أو سيخضع لأي تهديد منهم؟ بالطبع لا.

وسيكتب التاريخ أن الرئيس الفلسطيني هو من فعل ذلك، وأكثر من ذلك حينما شتم السفير الأمريكي الصهيوني المتطرف في دولة الاحتلال ديفيد فريدمان، وأمام كل وسائل

الإعلام والفضائيات، ووصفاً إياه بما يستحق من الوصف له وبأنه "ابن الكلب"، وفعلاً يستحق ذلك فريدمان لأنه أكثر تطرفاً من غلاة الغاصبين المستوطنين أنفسهم، ومثله ممثلة الولايات المتحدة في مجلس الأمن المتطرفة نيكي هيلي، فبعدما ألقى الرئيس أبو مازن خطابه قبل عدة شهور في مجلس الأمن، ترك المكان ولم يلقي أي انتباهاً أو أهمية لها وترك القاعة ومضي، في إهانة دبلوماسية مميزة للولايات المتحدة..

ومن الواضح أن الرئيس أبو مازن أكبر وأقوى، وأعظم شخصية سياسية مُحكمة علي مستوي العالم، وله تأثير عالمي، وقال بوضوح لن أنهي حياتي بخيانة؛ ولن تمر أي صفقة قرن، أو أي اتفاقية ما لم توقعها منظمة التحرير الفلسطينية وتحت قيادة الرئيس محمود عباس؛ وعلي الرغم من الجولات المكوكية لمبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط نيكولا ميلاد ينوف، وتدخل الأمم المتحدة، ودولة الاحتلال، ودول عربية، وقوي إقليمية، ومحاولة الاحتلال إبرام صفقة مع حركة حماس، والقفز، وتجاوز المصالحة؛ إلي التهدئة والهدنة، ومن ثم اتفاق بينهم، إلا أن كل تلك المحاولات توقفت عند صخرة صلبة ضاربة جذورها في بقاع الأرض، ولا يمكن كسرها، أو القفز عنها، وهو الشعب الفلسطيني والرئيس أبو مازن، فمن غير موافقته فلن تمر أي صفقة أو اتفاقية شاملة؛ لأن المخول بتوقيع أي اتفاقية ببساطة ليس فصيل بعينه مهما كان قوته ومكانته، وإنما منظمة التحرير الفلسطينية؛ كما أن كيان الاحتلال الاسرائيلي، ومجلسه "المطبخ الأمني المُصغر" (الكابينة) يُعاني جدال عميق، وعقيم، ومزاورات بينهم، وظهور خلاف جوهرى واسع، ومركزي، داخل دوائر صنع القرار في كيان الاحتلال، ولكن يوجد بينهم اتفاقاً حول مسألة واحدة، وهي وقف حالة الاستنزاف للسكان الغاصبين اليهود في "المغتصبات"، حول غلاف قطاع غزة، ووقف البالونات الطائرة "الحارقة"، ووقف الاستنزاف لجيش الاحتلال؛ وأمامهم ثلاثة خيارات كلاهما وأحسنهما مُرّ خوفاً من الانفجار الكبير والواسع في قطاع غزة، وأستبعد خيار احتلال قطاع غزة، لأن الثمن باهض؛، وثانيهما حرب محدودة، والخيار الثالث الأقرب للتحقيق وللواقع هو التسوية السياسية عبر اتفاق تكون حماس شريك أساسي به.

ولقد أضحت ملامح التصفية للقضية الفلسطينية واضحة من خلال الولايات المتحدة، والاحتلال، واللاعبيين الآخرين؛ وحالنا اليوم يشبه تماماً ما قاله الفيلسوف الألماني الماركسي والتر بنديكس شنوفليز بنيامين، ومن مقولاته الشهيرة: "ليس لأحد أبداً الحق في إبرام سلامٍ منفصلٍ مع الفقر، حين يخيم الفقر، مثل ظل هائل، فوق قومه ومنزله، فعليه حينئذ أن يبقى حواسه متيقظة، لتدرك كل إذلال يفرض عليها"؛ وهذا الواقع ينطبق تماماً علي واقعا في فلسطين، وقطاع غزة خاصة، فلا يمكن أن تتحول قضية الحصار لقطاع غزة والفقر المدقع للناس سبباً في إبرام اتفاقية مدلة ومهينة، والتفريط في الوطن والمقدسات، رغم قسوة ذلك الحصار علي جُل سكان القطاع ولكن الوطن لا يشتري، ولا يباع بكل أموال الدنيا، ولا يمكن لأي فصيل كبير كان أم صغير إبرام اتفاق أو هدنة وفصل الوطن وتجزئته عن بعضه البعض، ولا يمكن للاحتلال أن تنجح في مسعاها الهادف الاستفراد وتمزيق وحدة محافظات الوطن، أو تهمش وإغفال القضايا الجوهرية كالقدس، واللاجئين وغيرها؛ وبدون حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية لن ينعم الاحتلال بالأمن ولا بالأمان، وسيعيش علي حد السيف والحراب، فقضية فلسطين هي قضية كونية وريانية، وسياسية وقضية وجود، وليست حدود فقط، تكون أو لا تكون، والاحتلال وكل المؤامرات لن تمر وهي موضوعة تحت أقدام شعبنا والذي قدم ولا يزال يقدم الشهداء والجرحى والأسرى منذ قرن من الزمان، فتلك التضحيات لن تذهب هدراً؛ وتموت الحرة ولا تأكل بثدييها؛ والصراع طويل مع المحتل الغاصب وقطعان الغاصبين المستوطنين.

فعلي قصار النفس أن يتنحوا جانباً؛ لأنه بدون قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة وقابلة للحياة، وعاصمتها القدس الشريف لن يكون هناك لا سلام ولا أمن ولا أمان ولا استقرار في العالم؛ ونحن علينا أن نتوحد فوراً وننهى الانقسام البغيض، وتحقيق المصالحة لأنها أقرب طريق لتحرير المسرى، والسري، وعلينا جميعاً أن نغلب المصلحة الوطنية من أجل فلسطين.